الركن الرابع من أركان عقيدة المؤمن

الإيمان بالرسل عليهم السلام

مقدمات:

(أ) إمكان الوحي:

تعريف الوحي:

الوحي اسم مصدر من أوحى إليه بكذا يوحي إيحاءً: إذا أعلمه بمراده في سرعة وخفاء.

فالوحي إذاً هو الإعلام السريع الخفي، وبأي واسطة حصل، إذ ليس شرطاً فيه أن يكون من قرب، أو بقول، أو بين متجانسين ؛ فقد قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ (النحل: 68، 69).

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ (القصص: 7).

فقد أعلم الله تعالى النحل مراده ففهمت عند ذلك ونفذته كاملاً، ولم يكن هنا قرب ولا قول، ولا تجانس مما يعرف الناس في حياتهم المادية هذه. كما أنه تعالى أعلم أم موسى بمراده ففهمته، ونفذته كاملاً تاماً، وبدون قرب أيضاً، ولا قول، ولا تجانس أبداً بين الموحى، والموحى إليه.

فالوحي بهذا المعنى ممكن، ولا معنى لإنكاره أبداً، ونقول هذا تنزلاً مع الشاكين فقط، وإلا فالوحي قد وقع، وتم، ومنذ وجد الإنسان الأول على هذه الأرض وهو آدم عليه السلام.

والذين كلت أذهانهم أمس عن فهم الوحي وإدراكه لم يبق لهم اليوم من عذر في دعوى كلال الذهن عن فهم الوحي وهم يشاهدون الاتصالات السلكية واللاسلكية، والإذاعية وغيرها.

وقد بلغهم أن الاكتشافات العلمية أثبتت بما لا مجال للشك فيه أن الوحي بالمعنى الذي قررنا موجود حتى بين الحيوان وأخيه الحيوان، بل بين أصغر الحشرات كالفراش والنمل وما إلى ذلك، فيتم الإعلام السريع الخفي بين حيوان وآخر وبدون قرب بل أبعاد شاسعة، وبدون قول أيضاً، ولا مشابهة البتة.

فالوحي إذاً ممكن وموجود، وإنكاره يعد إنكاراً للحس، وتكذيباً بالواقع المشاهد. نعم الوحي تختلف وسائله، فالوحي الإلهي كان يتم بوسائل متعددة، وكيفيات مختلفة وفيما يلي بيان ذلك:

الوحى الإلهى وطرقه

تعريف:

الوحى الإلهى هو ما يوحى به الله تعالى من كلماته الصادقة فى أخبارها، العادلة فى أحكامها، بطريقة من طرق الوحى إلى من يصطفى من الناس، ولا شاهد أقوى على وجوده وإمكانه من كلام الله تعالى الموجود بين أيدى المؤمنين يقرأونه محضاً لم يشب بكلمة واحدة من كلام الناس، وهو القرآن الكريم الموحى به إلى النبى محمد ﷺ آيات وسوراً، شيئاً فشيئاً حتى اكتمل نزوله، ووحيه فى خلال ثلاث وعشرين سنة.

وقد حاول خصومه منذ شروق أنواره أن يبعدوه عن حقيقته، ويخرجوا به عن كونه وحياً تلقاه النبى محمد ﷺ من ربه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل:6). حاول أولئك الخصوم أن يخرجوا به عن حقيقته، فقالوا: سحر، وقالوا: شعر، وقالوا: أساطير الأولين، وقالوا غير ذلك. بيد أنهم لم تطل بهم الحياة حتى أذعنوا للحق، وسلموا أنه وحى الله وكلامه، الذى أوحاه إلى صفوة خلقه، وسيد أنبيائه ورسله محمد ﷺ، فآمنوا به، وعملوا بهدايته، فكملوا، وسعدوا، وسادوا أيضاً.

ولتلقى الوحى الإلهى طرق بينها الله تعالى فى كتابه بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: 51).

فهذه ثلاث طرق لتلقى الوحى الإلهى:

الأولى: الوحى المباشر، وهو أن يعد الله تعالى قلب العبد إعداداً خاصاً بتصفيته من الكدورات والرعونات النفسية، ثم يلقى إلى صاحبه بكلماته التى أراد أن يوحى بها إليه، فيتلقاها ذو القلب الطاهر وهو النبى من أنبياء الله تعالى ويعيها وعياً كاملاً صحيحاً، وهو جازم بأنها كلام الله تعالى ووحيه إليه، وذلك لما يجد فى نفسه من ضرورة تحتم عليه ذلك وتضطره إليه أكثر من ضرورة معرفة أحدنا بوجوده إنساناً حياً بين الناس، أو بضرورة معرفة صوت أبيه أو أمه أو أخيه، ذلك الصوت الذى عاش دهراً يسمعه، ويفرق بينه وبين سائر الأصوات.

الثانية: أن يخاطب الله تعالى من أعده لذلك من أنبيائه ورسله فيُسمعه كلامه المباشر مع القرب وبدونه، ولكن من وراء حجاب، فيسمع النبى الكلام ولا يرى المتكلم، وقد تم هذا للنبى محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج فى الملكوت الأعلى ؛ إذ عُرج به ﷺ حتى بلغ سدرة المنتهى، وكلمه ربه تعالى، وفرض عليه الصلوات الخمس هذه التى يصليها المؤمنون خمس مرات فى

كل يوم وليلة، غير أنه لم ير ربه تعالى، فقد سئل عن ذلك فقال: «نور أنَّى أراه؟»(1). أما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ (النجم:13-18).

فإن الضمير فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ عائد إلى جبريل عليه السلام، وليس عائداً إلى الله تعالى.

كما تم هذا التكلم من وراء حجاب لموسى بنى إسرائيل عليه السلام، وكان بجبل الطور من سيناء حيث ناداه ربه بالواد المقدس طوى، ونبأه، وأوحى إليه، وأرسله إلى فرعون وملئه، كل هذا وموسى عليه السلام يسمع كلام الله تعالى المباشر ولا يرى الله تعالى مُكلمه عز وجل حتى تاقت نفسه لرؤيته، فسأل ربه ذلك فقال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ فقال الله تعالى له: ﴿لَن تَرَانِي﴾ (الأعراف: 143). وأقنعه بعجزه عن الرؤية لله تبارك وتعالى، فأمره أن ينظر إلى الجبل وقد تجلى له فصار دكاً، فنظر موسى إلى الجبل فلم يقو على رؤيته فخر مغشياً عليه، فلما أفاق من غشيته قال: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: 143).

الثالثة: أن يُوحى الله تعالى إلى من اصطفى من رسله بواسطة ملك يرسله إليه، وكان جبريل عليه السلام موكلاً بالنبى ﷺ، وهو الذى صحبه فى إسرائه ومعراجه (2)؛ وما زال معه

---

(1) حديث الإسراء ثابت فى الصحيحين وغيرهما. اللؤلؤ والمرجان (1/ 35)، وقوله ﷺ: «نور أنى أراه» رواه مسلم (1/ 111).

(2) إن الإسراء والمعراج المجيدين ثابتان بالكتاب والسنة، ففى الكتاب من سورة الإسراء يقول تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ ففى هذه الآية تصريح بالإسراء وأنه كان من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس، وفى قوله: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ إشارة إلى المعراج بعد التصريح بالإسراء إذ المعراج تم مع الإسراء فى رحلة واحدة، كما بينت ذلك الأحاديث الصحيحة. وفى قوله تعالى من سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ تصريح بالمعراج ووصول الرسول ﷺ فيه إلى سدرة المنتهى عند جنة المأوى، وفى الملكوت الأعلى وما فى الآيات من إجمال لحادثة الإسراء والمعراج فقد بينته السنة وفصلته أيما تفصيل، إذ أغلب كتب الصحاح والمسانيد قد روت حادثة الإسراء والمعراج مفصلة، ولما كانت عقيدة المؤمن مبنية على أساس تصديق الله والرسول فى كل ما أخبرا به وجاء عنهما فإن تصديق المؤمن بحادثة الإسراء والمعراج ليس موضع شك أبداً كما أن إثبات هذه الحادثة لا يتطلب دليلاً بعد إثبات الكتاب والسنة لها. إن الإسراء والمعراج ثبتا للنبى محمد ﷺ بروحه وجسده، ويقظة لا مناماً، وذلك فى السنة الحادية عشرة من البعثة المحمدية، ولا التفات إلى رأى من يقول بحصولها بالروح دون الجسد، أو فى المنام دون اليقظة، إذ هذا الرأى فاسد وباطل لمنافاته لمعنى ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ ولرفض سلف هذه الأمة له وإنكاره على قائله ومرتئيه.

يأتيه بوحى ربه حتى قُبض ﷺ، والملك الرسول يأتى أحياناً فى صورته الملائكية، وأحياناً يتمثل بشراً كما تمثل لمريم البتول عليها السلام، وقال لها لما استعاذت بالرحمن منه: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم: 19 ـ 21).

كما كان يأتى النبى ﷺ فى صورة دحْية بن خليفة الكلبى، وجاء مرة فى صورة أعرابى فدخل المسجد وجلس إلى النبى ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع يديه على فخذيه، وأخذ يسأل الرسول ﷺ والرسول يجيبه وهو يصدقه بقوله: «صدقت» حتى عجب الصحابة منه، كيف يسأله ويصدقه ؟ ولما انصرف أمر الرسول أصحابه أن يردوه عليه فطلبوه فلم يظفروا به، فقال لهم: «**إنهُ جبريلُ أتاكم يُعلمكم أمر دينكمْ**»(1).

ب ـ ضرورة الوحى، وحاجة الناس إليه:

إن الوحى الإلهى ضرورة من ضرورات شتى قد اقتضاها وجود الإنسان على هذه الأرض، يكابد فيها حياة طويلة فُرضت عليه، وقدرت له، ولا ينتهى منها إلا بانتهاء هذا الكون وانقراضه حيث ينقل إلى ملكوت آخر، فهو فى هذه الرحلة الطويلة من حياته لابد له من تعاليم من ربه تنظم حياته، ولابد له من هدى يعيش عليه، وكيف يتم له ذلك بغير الوحى ؟ فالوحى إذاً ضرورة من الضرورات لا غنى عنه بحال من الأحوال.

وضرورة الوحى وحاجة الإنسان إليه تظهران بوضوح إذا عرفنا أن الإنسان مكون من روح وجسد، وأن العالم عالمان علوى وسفلى، وأن الحياة حياتان: أولى تنقضى، وثانية تدوم ولا تنتهى، وتبقى أبداً ولا تنقص، وأن بين الحياتين برزخاً تقضى فيه الأرواح فترة ما بين موت الإنسان وبعثه للحياة الثانية، وبيان ذلك: أن كون الإنسان روحاً يقتضى وحياً إلهياً يخبره عن الرَوح، وصفاتها، وأحوالها، وأسباب كمالها ونقصانها وسعادتها وشقائها. وأن كون الإنسان جسماً يقتضى كذلك وحياً إلهياً يُبيِّن له فيه طرق المحافظة على جسمه، ويضع له القوانين التى تساعده على بقائه صالحاً المدة المحددة له من هذه الحياة. وأن كون العالم عالمين علويًا وسفليًا يقتضى وحياً إلهيّاً يخبره عن العالم العلوى وما فيه، لعجْز الإنسان عن معرفة ذلك بوسائله الخاصة وإدراكه دون الوحى الإلهى. وأن كون الحياة حياتين يقتضى كذلك وحياً إلهياً يعرف الإنسان بواسطته الحياة الثانية ماذا فيها ؟ وما الذى يتم للإنسان يوم ينقل إليها ؟ إذ مثل هذا لا يدركه الإنسان بواسطة عقله مجرداً عن الوحى الإلهى بحال من الأحوال.

---

(1) مسلم (1/ 28، 19).

فهذه أكثر من ضرورة قد اقتضت الوحى الإلهى، وجعلته حاجة من حاجات الإنسان التى لا يستغنى عنها بحال، فالوحى إذاً مع إمكانه هو ضرورة من ضرورات حياة الإنسان، وحاجة من حاجاته، وإنكاره والتكذيب به يُعد خطأً عقليّاً كبيراً، وعجزاً فكريّاً مُشيناً، وفساداً فطريّاً خطيراً؛ لأن إنكار ما هو موجود وواقع، وجحود ما هو ضرورة للحياة، وحاجة أكيدة لها ـ لا تقره العقول، ولا توافق عليه بحال أبداً.

(جـ) النبوة:

تعريف:

النبوة: اسم مشتق من نبا الشىء ينبو نَبْوَةَ إذا ارتفع متجاوزاً غيره، ومنه قولهم: نبا السيف ينبو نبوة إذا ارتفع متجاوزاً مضرب الفارس، أو هى اسم مشتق من أنبأ فلان غيره ينبئه إنباء إذا أخبره بخبر ذى شأن، ولهذا يقال: «النبوءة» بالهمزة بعد الواو، وبها قرأ ورْش عن نافع: ﴿آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوءةَ﴾ (الأنعام: 89).

وقرأ حفص عن عاصم النبوَّة بواو مشددة، ويمكن رد القراءة الأولى إلى هذه وذلك بقلب الهمزة واواً وإدغامها فى الواو، وهو إعلال معروف عند النحاة.

وبناء على هذا فالنبوة الشرعية هى إعلام اللّه تعالى من اجتبى من الناس لرفعته والإعلاء من شأنه؛ بإنبائه بالوحى الذى أراده له، أو له ولغيره.

والأنبياء: جمع نبى، ويمد مهموزاً فيقال ﴿نبىء﴾ كما هى قراءة ورش عن نافع فى جميع القرآن أو فى غالبه، وهو عائد إلى الاشتقاق الأول الذى تقدم فى كلمة النبوة.

والنبى: ذَكَر من بنى آدم أوحى اللّه تعالى إليه بأمر، فإن أمر بتبليغه إلى الناس فهو نبى ورسول، وإن لم يؤمر بتبليغه فهو نبى غير رسول، وبهذا يظهر الفرق بين كل من النبى والرسول، وهو أن الرسول من أمر بإبلاغ ما أوحى إليه، والنبى من أُوحى إليه بشىء ولم يؤمر بإبلاغه؛ لاختصاصه به دون غيره من الناس، وعليه فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً، ومثال النبى غير الرسول يوشع بن نون صاحب موسى وفتاه عليهما السلام، فقد نبأه اللّه تعالى، وخلف موسى وهارون فى بنى إسرائيل، وهو الذى غزا بيت المقدس وفتحها اللّه تعالى عليه.

ومثال النبى الرسول نبينا محمد ﷺ؛ إذ هو نبى اللّه ورسوله إلى الناس أجمعين، وكذا سائر الأنبياء والمرسلين المذكورين فى القرآن الكريم كما سنقف عليه إن شاء اللّه تعالى فى بحث هذا الركن من أركان عقيدة المؤمن.

د ـ مؤهلات النبوة:

الذى ينبغى أن يُعلم هنا أن النبوة لا تأتى من طريق الكسب والاجتهاد أبداً، فلو انقطع المرء إلى العبادة كلية، وتخلى عن سائر الحظوظ النفسية، وعن كل الرغبات والشهوات وسائر متع الحياة، ولذائذها لم يؤهله ذلك ؛ لأن يكون نبيّاً أو رسولاً بحال من الأحوال، إن النبوة هبة خاصة، يختص بها اللّه واهبُها من أهَّله لها من عباده المؤمنين، بيد أن اللّه يهيئ لها بإعداد خاص عبداً من عباده، فيحفظه من التلوث النفسى، والضلال العقلى، والفساد الخلقى، والانحراف الفطرى، ويضفى عليه من الكمالات النفسية والعقلية والخلقية ما يؤهله به لمقام النبوة الشريف. ومن المؤهلات للنبوة، وتلقى الوحى الإلهى:

1 ـ المثالية: ونعنى بالمثالية ذلك الكمال البشرى الذى يحوزه المرء المرشح لمقام النبوة، والذى لا يسمو إليه سواه من المرشحين لها من سائر الناس.

2 ـ شرف النسب: إن عامل الوراثة سبق أن قررناه، ولم ننكره، وهو أن كثيراً من الصفات والخصائص والمميزات تنتقل بهذه السنة الإلهية (عامل الوراثة) من الأصل الوالد إلى الفرع المولود، ومن هنا كان الأنبياء يبعثون فى أشراف أقوامهم، والمراد من الشرف بالمعنى العام: الترفع عن الدنايا الخلقية، والتنزه عما يخل بالمروءات، ويهبط بالقيم البشرية، من كل سلوك شائن منحرف، تكرهه الطباع البشرية السليمة، وتشمئز منه النفوس الكريمة.

3 ـ عامل الزمن: إن المرادَ من عامل الزمن هو وجود مقتضيات فى الزمن المعين تحتم بعثة نبى وإرسال رسول، وتقتضيه، ومن ذلك وجود فراغ روحى تسبب عنه فساد اجتماعى كبير ؛ فأصبحت الحال تتطلب نبيّاً مصلحاً، يرد للحياة اعتبارها، وللإنسان قيمته، وذلك كالفراغ الذى كان قبل إرسال موسى وأخيه هارون عليهما السلام، وكالذى كان قبل نبوة عيسى ورسالته عليه السلام، وكالذى كان قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام ورسالته، فإن الأحوال التى كانت سائدة فى تلك الأزمنة الثلاثة كانت تلح مطالبَةً بنبوة نبى ورسالة رسول ؛ لإصلاح البلاد والعباد، وكان الناس يومها يشعرون بالحاجة الملحةَ إلى نبوة تغير الأوضاع الفاسدَة التى سادت يومئذ، والذين قالوا لفرعون: إن زوال ملكك سيكون على يد رجل من بنى إسرائيل ـ وبنو إسرائيل يومئذ مستعبدون مضطهدون أكثر من غيرهم، لا شوكة لهم ولا قوة ـ هذا القول وإن نسب إلى الكهنة فإنه هو نفسه عامل الزمن، وهو الشعور العام بالحاجة إلى مُصلح يُصلح الأرض بعد أن أفسدها الطغيان الفرعونى، وجبروت الكبر، وفساد العلو فى الأرض، والإسراف فى الشر.

كما أن زمن ما قبل البعثة المحمدية كان يوحى بقرب نبوة مُصلحة، بحيث تطلع كثير من أهل الكتاب لها، بل صرحوا بقربها، وجاهروا به، وانتظروه ؛ لذا بادر كثير منهم بالإيمان بنبوة محمد ﷺ ورسالته، ولم يترددوا فى ذلك بمجرد ظهورها، وذلك كالنجاشى من النصارى، وعبد اللّه بن سلام من اليهود، وغيرهما من أحبار اليهود ورهبان النصارى، وذلك لما شاهدوا من الفساد العام الذى انتظم العالم بأسره وبخاصة جزيرة العرب، وبلاد الروم، وفارس، وهى تمثل العالم الإنسانى تقريباً(1).

ومجمل القول أن وجود فساد عام فى الأرض من شأنه أن تتطلع معه النفوس إلى مصلح يصلح اللّه به البلاد والعباد، وذلك لمَا غَرَز اللّه تعالى فى الفطر البشرية من الشعور بالرحمة الإلهية، وقربها كلما عم الشر، وعظم الفساد، شعور كشعور العطشان بالحاجة إلى الماء، وتطلعه إليه.

وها هى ذى البشرية اليوم فى حاجة ملحة إلى نبوة إلهية تصلح فسادها، وتخرجها من محنتها المادية التى تعانى منها، والنبوة الإلهية موجودة بين أيدينا ولكن الذى أعوزنا العبقرى الملهم الذى يحملنا على الاهتداء بهديها، والسير على ضوء هدايتها ؛ حتى ننجو من هلكتنا ؛ ونسعد فى حياتنا. إن النبوة المطلوبة هى نبوة محمد ﷺ، وهى محفوظة لم تُشب بفساد، ولم تخلط بباطل، ولم يمسها سوء، ولأمر ما حفظها اللّه تعالى صالحة نقية بعد مضى زمن طويل على ظهورها، وما يدرينا أن اللّه تعالى قد ادخر لنا عبداً من عباده المؤمنين، سيظهر فى يوم ما من الأيام ؛ فيملأ به الأرض طهراً وعدلاً بعد ما ملئت خبثاً وظلماً.

هـ - صفات الأنبياء:

إن للمؤهَّلين لحمل رسالة الخالق إلى الخلق صفات كمال لا تفقد فى أحدهم أبداً ؛ إذ هى واجبة لكل من يحمل رسالة اللّه تعالى إلى عباده، ومن تلك الصفات:

1 ـ الصدق: صدق النية والإرادة، صدق القول والعمل، بحيث يستحيل أن يتصف المؤهل للنبوة بضد الصدق وهو الكذب والنفاق، أو الإهمال واللامبالاة، والمتتبع لسِيَر الأنبياء يعرف هذه الحقيقة، ويؤمن بها.

---

(1) ويشهد لهذا القرآن الكريم إذ جاء فيه قوله من سورة الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف:85) فهى الإقرار بأن الأرض كانت قبل البعثة المحمدية فاسدة، وأن الله تعالى قد أصلحها بها.

2 ـ الأمانة: الأمانة فى كل شىء فى القول والعمل، فى الحكم والقضاء، فى الحديث والنقل، فى الرواية والتبليغ، فى السر والعلن معاً ؛ إذ يستحيل أن يتصفوا بضدها وهى الخيانة بحال من الأحوال، فلا خيانة فيهم أبداً، ولو فى أقل الأشياء وأتفهها، ومتى وجد شىء من الخيانة فلا نبوة ولا أهلية لها أبداً .

3 ـ التبليغ: والمراد منه أن يبلغ الرسول كل ما أمر بتبليغه فلا يخفى منه شيئاً، ولا يكتمه بحال من الأحوال، فلا تحمله رغبة ولا رهبة على أن يكتم بعضاً مما أُوحى إليه، وأمر بإبلاغه إلى الناس، والكتمان للوحى الإلهى يتعذر على المرسلين، ويستحيل فى حقهم، ولا يتأتى لهم، لأن اللّه تعالى أهَّلهم للبلاغ عنه ما أراده لعباده من الهدى والخير، فمتى وجد الكتمان بطلت النبوة، وانتفت الرسالة.

4 ـ الفطنة: إن الفطنة ليست الفهم والذكاء فحسب، بل هى مع ذلك رقة الشعور، وصفاء الذهن، ورهافة الحس وصدقه، وسرعة البداهة. على حد قول حسان بن ثابت فى النبى محمد ﷺ:

لو لم يكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تأتيك بالخبر

إذ الفطنة من المؤهلات لتلقى الوحى والأمانة عليه، فالغباء وبلادة الحس وبطء الإدراك تتنافى مع مقام النبوة وشرف التلقى عن اللّه تعالى، وسوف نكشف عن هذه المؤهلات ونجلى الكثير من معانيها إن شاء اللّه تعالى عند الحديث عن خاتم الأنبياء محمد ﷺ ؛ إذ هو المقصود بهذه الدراسات كلها ؛ وذلك لوجود رسالته قائمة بين أيدى الناس، ولحاجة الناس إليها.

* * *

الرسل عليهم السلام

الرسل فى التاريخ

لقد سبق أن عرفنا الرسول فى اصطلاح الشرع، وهو: ذكر من بنى آدم أُوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، وأنه بوحى اللّه تعالى إليه أصبح نبيّاً، وبإرساله كان رسولاً.

والآن نعرض لجملة من تاريخ الرسل فنقول: إن التاريخ الذى كتبته يد البشر. ومهما كانت اليد الكاتبة أمينة وعليمة، لتاريخ ناقص عن توفية الرسل حقهم فيما وهبهم اللّه تعالى من الكمال، وقاصر على إعطاء الصورة الواضحة لرسل اللّه وأنبيائه الذين لم تخل من وجودهم فيها أمة من الأمم، ومن بدء الخليقة إلى أن خُتموا بإمامهم وسيدهم محمد ﷺ تسليماً كثيراً؛ لقول اللّه تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر:24).

ومع هذا فإنه لا يوجد فى مصادر التاريخ اليوم ما يعول عليه فى هذا الشأن، وما يعتمد عليه فى هذه المهمة العظيمة، وهى التاريخ الصادق الكامل لصفوة الخلق وخلاصة البشر الرسل عليهم السلام، اللهم إلا ما كان من كتاب اللّه تعالى القرآن الكريم، فإنه المصدر الوحيد الموثوق، الذى لا يُعدَل به غيره، ولا يلتفت معه إلى سواه؛ إذ لا يعرف الأنبياء كمن نبأهم، ولا يعرف المرسلين المصطفين كمن اصطفاهم وأرسلهم، فحسبنا إذاً القرآن فى هذا الشأن، فنكتفى بإيراد بعض ما جاء فيه عن رسل اللّه من حيث عددهم، وبيان زمن وجود كل منهم، ومعرفة أسمائهم، ومعرفة أعاظمهم وأولى العزم منهم، وذكر بلادهم، وأقوامهم، وما إلى ذلك من تاريخ حياتهم.

عدد الرسل:

لم نشك أبداً فى أن الرسل كانوا جمّاً غفيراً؛ وذلك لقول اللّه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل:36). وقوله: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر:24).

غير أننا لا نستطيع أن نجزم بعدد معين لا نزيد عليه، ولا ننقص منه؛ ذلك لعدم ثبوته عن الوحى الإلهى، والخبر النبوى الصحيح، وكل ما ورد عن النبى ﷺ فى بيان عدد الأنبياء والمرسلين حديث أبى ذر الغفارى فى مسند أحمد، وسنده ليس بالقوى كما قيل، ولفظه: «قلت: يا رسول اللّه أى الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم»، قلت: يا رسول اللّه أنبى كان؟ قال: «نعم، نبى، مكلم»، قلت: يا رسول اللّه كم المرسلون؟ قال: «ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيراً». وفى لفظ: «كم وفاء عدد الأنبياء؟ قال: **مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل منهم ثلثمائة**

وخمسة عشر جماً غفيراً»[1]. ففى هذا الخبر المرفوع بيان أن آدم كان نبيّاً يكلمه اللّه تعالى ويوحى إليه، وبيان عدد كل من الأنبياء والمرسلين، ولا يبعد أن يكون هذا الخبر صحيحاً ـ وإن ضعف سنده ـ وذلك لما فيه من آثار طابع النبوة وروحها.

ولما لم يجد علماء الإسلام بديلاً عنه قالوا بالمعنى الذى جاء فيه فحكموا بنبوة آدم، وحدثوا أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً، وأن المرسلين منهم ثلثمائة وخمسة عشر، ولا تثريب عليهم فى ذلك لعدم وجود ضرر يترتب على القول بهذا الخبر ؛ إذ هو كأخبار بنى إسرائيل تصح رواياتها للاعتبار بها إذا لم يوجد فى الإسلام ما ينافيها،[2] أو يتنافى معها.

زمن وجود كل منهم:

إن تاريخ الرسل عليهم السلام يبتدئ بآدم أبى البشر عليه السلام، ووجوده فى الأرض، وتكاثر أبنائه فيها مقتض للوحى الإلهى ؛ إذ به تكمل آدمية الإنسان، وبه يتم شرفه، وعليه تزكو نفسه، ويتأهل للسعادة فى الحياتين الأولى والآخرة.

ولم يعرف الناس نبياً من أولاد آدم لصلبه اللهم إلا ما كان من «شيث» عليه السلام ؛ فإنه روى أنه كان حفيداً لآدم أبى البشر النبى عليه السلام، وقد أُنزل عليه عدة صحف تعرف بصحف «شيث» عليه السلام، وجاء بعد شيث نبى اللّه ورسوله إدريس عليه السلام، وهو مذكور فى الكتاب الكريم، وتقول الأخبار إنه من ذرية شيث عليه السلام.

ثم جاء نوح عليه السلام وهو أول رسول كما صرح بذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ (النساء: 163).

ثم جاء بعده هود، فصالح، فإبراهيم، فلوط ،فإسماعيل، فإسحاق، فيعقوب، فيوسف، ثم شعيب، فموسى، فهارون، فداود، فسليمان، ثم إلياس، فأيوب، واليسع، وذو الكفل، ويونس، وزكريا، فيحيى، وعيسى، ثم خاتمهم محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

وهذا الترتيب الزمنى صحيح إلى حد ما، ولولا الخفاء فى زمن كل من يونس وأيوب وذى الكفل واليسع لكان إلى الصحة أقرب منه إلى غيرها، والحقيقة فى هذا أنه من باب علم لا ينفع

---

(1) أحمد (5/ 178، 179، 266).

(2) ولا يقولن قائل: بل جاء فى القرآن ما يتنافى معها وهو قوله تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ (النساء:164) فإننا نقول: المنافى هو أخبارهم وأحوالهم مع أممهم، أما خبر إجمالى كهذا فإنه لا يتنافى مع الآية أبداً.

وجهالة لا تضر ؛ إذ المطلوب هو الإيمان بالرسل، وتوقيرهم، وتعزيزهم، واتباعهم، والاقتداء بهديهم فى أى زمان كانوا، وفى أى أرض وجدوا.

ديار الرسل:

إن عامة من ذُكر من الرسل فى القرآن الكريم كانت ديارهم فى الشرق الأوسط، منها بُعثوا، وفيها عاشوا مع أقوامهم، وفيها ماتوا ودفنوا، فإبراهيم عليه السلام بعث بالعراق، وهاجر منها إلى أرض كنعان، فتنقل بين الحجاز والشام وأرض المعاد حتى توفاه اللّه تعالى. وإسماعيل عليه السلام ولد بالشام وعاش بمكة المكرمة لم يفارقها، وفيها بعث، وبين القبائل العربية دعا إلى اللّه حتى توفاه اللّه. وإسحاق كان بأرض المعاد، وكذا يعقوب ولده، إلا أن الأخير هاجر إلى أرض مصر، فعاش بها مع أولاده، ولعله توفى بها وأرسل من بعده يوسف، فعاش بمصر حتى هلك بها، ثم أرسل موسى وهارون، وعاشا بين مصر وسيناء إلى أن توفاهما اللّه تعالى، وجاء داود وسليمان فكانا فى أرض القدس، وتوالت أنبياء بنى إسرائيل على أرض الشام، وكان آخرهم عيسى عليه السلام فولد فى بيت لحم، وعاش بأرض المقدس حتى رفعه اللّه تعالى إليه. ثم بُعث خاتم الأنبياء محمد ﷺ بمكة، فولد بها وعاش إلى أن هاجر إلى المدينة من أرض الحجاز، فعاش بها عشر سنوات، وبها توفى، وبها قبره الشريف ﷺ.

أما نوح عليه السلام فلا يبعد أنه كان كذلك بين الشرقين الأوسط والأدنى، وأما هود وصالح وشعيب فقد كانوا بأرض العرب، هود فى الجنوب ما بين حضرموت والشجر، وصالح بالشمال ما بين الحجاز والشام، وشعيب بغرب الجزيرة جنوب الأردن الشرقى بأرض مدين، ولوط عليه السلام كان قد هاجر مع عمه إبراهيم الخليل من أرض بابل بالعراق، فبعثه اللّه تعالى إلى المؤتفكات، وكانت خمس مدن كبيرة أشهرها سَدوم وعمورة فأهلك اللّه أهل تلك البلاد لفسادهم وخبثهم ونجى لوطاً ومن معه من المؤمنين، فارتفعوا إلى أرض الشام وأقاموا بها.

أولو العزم من الرسل:

مما يعتبر جزءاً من العقيدة الإسلامية معرفة أولى العزم من الرسل عليهم السلام ؛ إذ جاء فى القرآن قوله: ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ (الأحقاف:35).

فتعينت معرفتهم لذلك، كما جاء فى القرآن بيان عددهم وأسمائهم معاً، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** ﴾ (الأحزاب:7).

فالكاف من قوله: ﴿ وَمِنكَ ﴾ (الأحزاب:7)، حرف خطاب تعنى محمداً ﷺ، فهو مقدم فى اللفظ للفضل، ويأتى أربعتهم بعده وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، مرتبون فى الفضل والزمن، فنوح أولهم وعيسى ابن مريم آخرهم فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وجوب الإيمان بالرسل عليهم السلام

بعد أن عرفنا إمكان الوحى وعرفنا الوحى وطرقه الخاصة به، وعرفنا ضرورته، وحاجة الناس إليه، كما عرفنا النبوة ومؤهلاتها، وعرفنا صفات الأنبياء والرسل، وتاريخهم العام - نذكر إتماماً للبحث فى هذا المعتقد أن الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً جزء من عقيدة المؤمن لا يتجزأ، بحيث لا تصح عقيدة المؤمن، ولا تكمل إلا به.

ومعنى الإيمان بالرسل إجمالاً: أن يؤمن المرء بكل ما نبَّأ الله من نبى، وبكل ما أرسل من رسول ممن عرَف نبوتهم ورسالاتهم وممن لم يعرف، فيؤمن إيماناً إجمالياً.

ومعنى الإيمان بالرسل تفصيلاً: أن يؤمن المرء بكل نبى ورسول عرَف نبوته ورسالته عن طريق الوحى إيماناً تفصيلياً، فمن عرفهم من طريق الوحى الإلهى بأسمائهم آمن بهم واحداً واحداً على التفصيل، ولا يؤمن برسالة بعض ويكفر برسالة بعض آخر ؛ إذ الكفر بواحد منهم يعتبر كفراً بجميعهم. وقد تقدم آنفاً بيان الرسل الذين ذكروا فى القرآن الكريم، وهم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً، منهم ثمانية عشر قد ذكروا فى قوله تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنعام: 83 ـ 86).

وذكر السبعة الباقون مفرقين فى عدة سور من القرآن وهم آدم، وإدريس، وهود، وصالح، وشعيب، وذو الكفل، وخاتمهم محمد ﷺ (1).

---

(1) آدم فى (33) من آل عمران، وإدريس فى (56) من مريم، وهود فى (50) من سورة هود، وصالح فى (73) من الأعراف، وشعيب فى (85) من الأعراف، وذو الكفل فى (85) من الأنبياء، ومحمد فى (40) من الأحزاب.

والإيمان بالرسل ضرورى، لا يتوقف على نظر ولا استدلال بالنسبة إلى المؤمنين بالله تعالى؛ لأن الله تعالى هو الذى نبأهم، وأرسلهم، وأخبر عنهم، وأمر بالإيمان بهم، وتصديقهم، والإيمان بالله تعالى مستلزم للإيمان بكل ما أمر الله بالإيمان به من الملائكة والكتب، والرسل، والبعث، والجزاء، والقدر، والقضاء، وبكل غيب أمر الله تعالى بالإيمان به، فيكفى المؤمن دليلاً أن يبلغه خبر الله، وأمره بالإيمان بالرسل، كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ** ﴾ (النساء: 136). وقوله تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ** ﴾ (البقرة: 285).

فلهاتين الآيتين وغيرهما يؤمن المؤمن برسل الله تعالى، ولا يفرق فى الإيمان بهم بين رسول ورسول منهم، كما فعل اليهود والنصارى، حيث آمن اليهود بأنبياء بنى إسرائيل وكفروا بعيسى ابن مريم ومحمد ﷺ، ولا كما آمن النصارى بكافة الأنبياء وكفروا بخاتمهم وإمامهم محمد ﷺ. وقد كفّر الله وتوعد بالعذاب المهين من يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض فى قوله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا** ﴾ (النساء: 150، 151).

هذا ونظراً لنسخ جميع شرائع الرسل عليهم السلام بشريعة خاتمهم محمد ﷺ؛ فإنه لم يبق هناك ما يلزم المؤمن إزاء أولئك الرسل سوى الإيمان بهم واعتقاد عصمتهم وكمالهم، ووجوب تعظيمهم واحترامهم.

ولهذا نكتفى بما سبق من البحث فى اعتقاد المؤمن بالرسل عليهم السلام لنخص بالبحث النبى الخاتم، صاحب الشريعة المتممة لسائر الشرائع، والعامة لكل الناس، وهو النبى الأمى محمد رسول الله ﷺ.

* * *

محمد رسول الله ﷺ

التعريف به ﷺ :

نسبه: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصى بن كلاب بن كعب بن مرة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

نشأته:

ولد ﷺ بمكة بدار أبى يوسف، ولدته آمنة بنت وهب بن زهرة بن عبد مناف بن قصى بن كلاب. ولدته صبيحة يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول عام الفيل، الموافق لأغسطس عام (570) ميلادية، ومات والده عبد الله وهو حَمْل فى بطن أمه، وكفله جده عبد المطلب، وماتت والدته آمنة وهو ابن ست سنين، وحضنته أم أيمن جارية أبيه، ومات جده فكفله عمه أبو طالب.

زواجه وأولاده:

ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره ﷺ تزوج بخديجة بنت خويلد إحدى شريفات قريش، فأنجب منها ولدين هما القاسم وعبد الله[1] ماتا صغيرين، وأربع بنات: هن فاطمة الزهراء وزينب ورقية وأم كلثوم رضى الله عنهن، ولم يزاول من الأعمال ﷺ فى هذه الفترة من عمره سوى رعى الغنم، إذ قال ﷺ: «**ما بعث الله نبياً إلا ورعى الغنم**» فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «**نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**»[2]، والتجارة حيث خرج مع عمه إلى الشام مرة واحدة وخرج بعد ذلك فى تجارة لخديجة فربح لها ربحاً عظيماً.

وكان ﷺ فى هذه المدة من حياته يتمتع بأفضل الأخلاق، وأطيب الشمائل، فلم يؤثر عليه ما يخل بمكارم الأخلاق قط، فلم يأت ولو مرة ما كان يأتيه بنو قومه أبداً، فلم يسجد لصنم، ولم يشرب خمراً، ولم يلعب قماراً ولا ميسراً، ولم يستقسم بزَلم، ، ولم يظلم أحداً فى عرض ولا مال ولا دم، لقد كان بشهادة أعدائه وخصومه مثالياً فى أخلاقه، وناهيك بإجماع قريش على إضفاء لقب الأمين عليه، هذا اللقب الذى لم يظفر به أحد فى ديارها أبداً، لقد كان ﷺ أميناً فى سره وفى علنه، أميناً فى قوله وفى عمله، أميناً فى غيبه ومشهده، أميناً فى كل شىء وعلى كل شىء.

وإذا كانت قريش قد اضطرت إلى منحه ذلك اللقب السامى، الرفيع الكريم ـ لقب الأمين ـ

---

(1) ومن أصحاب السير من يزيد الطيب فيجعل الأبناء ثلاثة والله أعلم بالحقيقة.

(2) البخارى (3/ 109، 110)، كتاب الإجارة، باب رعى الغنم على قراريط.

فإن اللّه تعالى قد أقسم له فى مطلع نبوته على أنه على خلق عظيم، وهى شهادة ـ واللّه ـ لا تعادلها شهادة أبداً ؛ إذ قال: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 1 ـ 4).

عناية اللّه به:

لم يكن الكمال الذى عاش عليه محمد ﷺ وعرف به قبل نبوته، لم يكن نتيجة أم أو أب، أو أثر تعليم أستاذ أو مرب قط، وإنما كان أثر عناية اللّه تعالى له، فالله الذى خلقه ؛ لأن يكون واسطة بينه وبين عباده ؛ ليبلغهم شرعه ودينه ـ هو الذى حماه من كل ما يلوث نفسه، أو يعكر صفاء روحه، إعداداً له لحمل رسالته إلى خلقه، وحمْل مثل تلك الرسالة يتطلب كمالاً نفسياً يكون صاحبه فيه مثلاً أعلى لغيره من سائر الناس، وكذلك كان رسول اللّه ﷺ، ولنستشهد على عناية اللّه للرسول، وحمايته تعالى له من التلوث النفسى منذ ولادته بشاهدين اثنين نستغنى بهما عن عشرات الشواهد والأمثلة وهما:

1 ـ ما روى البيهقى عن محمد بن إسحاق عن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: «سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: ما هممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا ليلتين، كلتاهما عصمنى اللّه عز وجل فيهما، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاء غنم أهلها، فقلت لصاحبى: أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان. فقال: بلى، قال: فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة، فسمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير، فقلت: ما هذا ؟ قالوا: تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر، وضرب اللّه على أذنى، فواللّه ما أيقظنى إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبى، فقال: ماذا فعلت ؟ فقلت: ما فعلت شيئاً، ثم أخبرته بالذى رأيت (وذكر أنه حصل له مرة أخرى فتم له مثل الذى حصل فى الأولى) ثم قال: فواللّه ما هممت ولا عدت بعدهما لشىء من ذلك حتى أكرمنى اللّه عز وجل بنبوته»(1).

2 ـ ما روى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة (لما أرادوا تجديد بنائها) وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخى لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة، قال: فحله فجعله على منكبيه، فسقط مغشياً عليه، فما رؤى بعد ذلك عرياناً ﷺ (2).

---

(1) ذكر هذه الحادثة ابن كثير فى البداية والنهاية، وقال: هذا حديث غريب جداً، وقد يكون عن على نفسه، ويكون قوله فى آخره «حتى أكرمنى الله بنبوته» مقحماً، والله أعلم، اهـ. (2/ 288)، الطبعة الأولى 1966 أشرف عليها مكتبة المعارف ومكتبة النصر.

(2) اللؤلؤ والمرجان (1/ 72)، البخارى (1/ 97)، ومسلم (1/ 184)، وما بين القوسين ليس من الحديث.

نبوته وبعثته:

وعلى رأس الأربعين كما هى سُنَّة اللّه فى الأنبياء نُبِّئ محمد ﷺ، إذْ جاءه الحق وهو بغار حراء، بعد أن كان قد حبب إليه الخلاء فيه مدة شهر رمضان، فجاءه جبريل وهو به فضمه إلى صدره وأرسله ثلاثاً وقال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ، وفى الرابعة قال: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ** ﴾ (العلق:1-3).

فذهب بها ﷺ إلى خديجة زوجه الكريمة ترجف بوادره، وهو خائف على نفسه، وهى تقول له: «كلا، واللّه ما يخزيك اللّه أبداً ؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، وانطلقت به ﷺ إلى ورقة بن نوفل بن أسد ابن عمها، وكان امرءاً قد تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل ما شاء اللّه أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخى، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول اللّه ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزّل اللّه على موسى، يا ليتنى فيها جذعاً[1]، يا ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال النبى ﷺ : **أو مخرجى هم ؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى**»[2].

وبعد فترة فتر فيها الوحى تبدَّى له جبريل فى صورته الملائكية وقد سد الأفق وله ستمائة جناح، ثم أخذ يدنو منه ويتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى اللّه ما أوحى، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** ﴾ (المدثر: 1 ـ 5) فأرسل بها ﷺ .[3]

بدء الدعوة:

وبدأ ﷺ دعوته إلى الإيمان باللّه ورسوله، وكتابه، ولقائه، وتوحيده تعالى فى عبادته، بدأها فردية، وتلقى هو ومن آمن به صنوفاً من الأذى، وأنواعاً من الاضطهاد، مما اضطر بعض

---

(1) جذعاً منصوب على أنه خبر كان المحذوفة والتقدير: ليتنى أكون فيها جذعاً، أو الخبر متعلق بالجار والمجرور، وجذعاً منصوب على الحال.

(2) لم ينشب: أى لم يتعلق بأى عمل من الأعمال، كناية عن كونه مات بعد قليل ولم تطل حياته، والحديث بطوله أخرجه البخارى فى أول كتابه (1/ 5، 6)، ومسلم (1/ 97، 98)، واللؤلؤ والمرجان (1/ 32).

(3) الحديث رواه البخارى ومسلم إلا أنه ليس فيهما -فى هذا الحديث- أن له ستمائة جناح وأنه أخذ يدنو منه ويتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله ما أوحى، راجع اللؤلؤ والمرجان (1/ 34)، ومسلم (1/ 98، 99)، والبخارى (1/ 6).

أصحابه إلى الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة النبوية، كما حُوصر هو وأسرته الشريفة والمؤمنون من بنى هاشم، حوصروا فى شِعْب أبى طالب ثلاث سنوات، جاعوا فيها جوعاً أكلوا معه ورق الشجر، مع كامل الأسف.

وفى هذه الأثناء توفيت أم المؤمنين خديجة زوجه المفضلة رضي الله عنها، كما توفى عمه أبو طالب الذى لم يألُ جهداً يدفع عن رسول اللّه ﷺ ويحميه من كيد أعدائه له، فكان ذلك العام يدعى عام الحزن كما قيل.

وفى نهاية السنة العاشرة من بعثته ﷺ ومطلع الحادية عشرة عُرج به ﷺ إلى الملكوت الأعلى حتى بلغ سدرة المنتهى عند جنة المأوى، وتجاوزها إلى مقام أسمى سمع عنده صريف الأقلام، وناجاه ربه، وناداه، وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس[1]، وفى هذه الأثناء عقد ﷺ اتفاقية مع بعض رجالات الأوس والخزرج تنص على أن يحمى أولئك الرجال من يهاجر إليهم من المؤمنين مما يحمون به أنفسهم وأموالهم، وأن لهم عند اللّه تعالى الجنة، وسميت هذه الاتفاقية ببيعة العقبة الأولى، وتمت عندها أخرى مثلها فسميت بيعة العقبة الثانية[2]، وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة بعد أن كثر بها الإسلام والمسلمون، وكانت قبل ذلك تسمى (يثرب) فصارت بحلول النبى فيها تسمى المدينة النبوية، والعامة تسميها المدينة المنورة، وفيها شُرعت كل الأحكام والقوانين الجنائية والمدنية، وبها تكونت الدولة الإسلامية الأولى فى تاريخ الإسلام. ومن المدينة انطلق المسلمون ينشرون راية العدل والحق فى ربوع الأرض، ويخرجون الناس من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جَور السلطان إلى عدل الإسلام كما قال ربعى بن خراش لكسرى ملك الفرس. ولم يُقبض رسول اللّه ﷺ حتى انتظم الإسلام كامل شبه جزيرة العرب، وحتى تم التشريع الإسلامى أوفر وأقوى ما يكون، ونزل فى ذلك قوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ (المائدة: 3).

وقبض رسول اللّه ﷺ يوم الاثنين من شهر ربيع الأول بعد ما مضى عشر سنوات وشهران وبعض الليالى على هجرته إلى المدينة، والتى كانت مبدأ التاريخ الإسلامى، ولم يلتحق ﷺ بالرفيق الأعلى حتى لم يترك خيراً قط إلا دل أمة الإسلام عليه، ولا شراً إلا حذرها منه، فصلوات اللّه عليه إلى يوم أن نسعد برؤيته وشفاعته.

---

(1) حديث الإسراء ثابت فى الصحيحين، اللؤلؤ والمرجان (1/ 35).

(2) راجع أحاديث العقبة فى البخارى (5/ 69، 70).

هذه نظرة سريعة ألقيناها متبركين بها على تاريخ محمد رسول اللّه ﷺ بمناسبة الحديث عن نبوته، فكانت مثل ترجمة قصيرة نقدمها بين يدى بحث دلائل نبوته، وعموم رسالته، وتقرير أن سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة رهن ذلك ومتوقفة عليه.

مؤهلاته للنبوة:

لقد سبق أن ذكرنا أن من مؤهلاته للنبوة العامل الزمنى، والمثالية، وشرف النسب، فلننظر الآن فيما إذا كانت هذه العوامل الثلاثة متوفرة للنبى العربى ﷺ أم لا؟ ولنبدأ بالعامل الزمنى فنقول:

لقد أجمع من أرَّخوا للدولتين الكبيرتين الفارسية والرومانية قبل البعثة المحمدية، أجمعوا على أن فساداً عاماً قد عم تينك الدولتين العظيمتين: فساداً فى الدين، فساداً فى الأخلاق، فساداً فى الحكم، فسرى ضعف هائل فى كل أجهزة تينك الدولتين، وخلايا تينك الأمتين الكبيرتين. هذا فى دولة الفرس والروم الحضاريتين أما فى غيرهما فإن الأحوال أسوأ، والأمور أردأ، والظلام فى كل جوانب الحياة أحلك، ففى شبه جزيرة العرب أصنام تُعبد، وخمور تشرب، وبنات توأد، وكهانات حلت محل النبوات، وأعراف قبلية سائدة سيادة الشرائع الإلهية، من له يُعطى ويزاد، ومن ليس له يؤخذ منه، وليس حال غيرهم خيراً من حالهم، فالعالم يومئذ كله يعيش فى ظلام دامس من الظلم والشر والفساد، وهى حال تدعو بل تصرخ بذى نبوة إلهية، ورسالة ربانية، يصلح اللّه به وعلى يديه فساد البلاد والعباد.

وحقاً فقد تطلع الناس إلى صاحب هذه النبوة، وحامل تلك الرسالة، ففى الجزيرة العربية إرهاصات كثيرة، وبين أهل الكتاب تنبؤات أكثر، همسات خفية فى كل واد، وممنية بقرب نبوة سماوية. كل الدلائل تشير إلى أن هذه النبوة ستكون هذه المرة فى الأمة العربية، قد يلوح سناها بين جبال فاران (مكة)، وتطلع شمس ضحاها فى يثرب ذات النخيل والظل الظليل، إنها مُهاجَر النبى الذى قد أطل زمانُه.

وسابق بعض أهل الكتاب الأحداث، فهاجروا إلى الحجاز، ونزلوا يثرب نفسها، وتأكدت التنبؤات عند بعضهم، حتى استفتحوا على العرب جيرانهم بأن النبى المنتظر سيبعث فينا، ونقاتلكم معه.

وبالجملة فإن تلك الفترة ـ وهى السبعون سنة بعد الأربعمائة من ولادة السيد المسيح عليه السلام ـ كانت فترة إرهاصات كثيرة، وتطلعات كبيرة، وتنبؤات لا حد لها، وفى أنحاء شتى من العالم إلى نبوة يتغير بها مجرى التاريخ الإنسانى ويوقف بها تيار الفساد العام بين البلاد والعباد، ومن يا تُرى يكون المؤهل لهذه النبوة ؟

إنه كان محمداً ابن عبد اللّه، دعوة إبراهيم القائل: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة:129).

وبشارة عيسى القائل: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (الصف:6).

إنه كان محمداً النبى الأمى الذى نادى قائلاً: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف:158).

فمرحباً بوفادته على الدنيا، ومرحباً بقيادته للإنسانية، ومرحباً به وهو الرحمة الإلهية، ومن العامل الزمنى إلى المثالية، فلنلق نظرة سريعة على المثالية المحمدية التى أهلته بإذن اللّه لقيادة البشرية، وهيأته لتلقى الوحى من السماء ؛ ليكون رسول اللّه إلى الناس كافة، فلننظر إليها فى الجانب الخلقى الذاتى، ثم فى الجانب الخُلقى النفسانى، وإن أصحاب السير وجميع من كتب فى السيرة المحمدية مجمعون على أن محمد بن عبد اللّه والنبى الأمى كان أكمل الناس ذاتاً، وأجملهم وجهاً، وأحسنهم قدراً واعتدالاً، ولنترك الرواة الصادقين يصفون لنا الذات المحمدية كما رأوها وعرفوها، قال البراء فى رواية مسلم: «كان رسول اللّه ﷺ رجلاً مربوعاً، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه ﷺ»(1) وقال أنس فى رواية مسلم: «كان رسول اللّه ﷺ أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ، ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كفى رسول اللّه ﷺ، ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول اللّه ﷺ»(2)، ولنصغ أخيراً إلى ما قاله الحسن بن على رضي الله عنهما حيث قال: «سألت هند بن أبى هالة عن حلية رسول اللّه ﷺ وكان وصافاً، وأنا أرجو أن يصف لى منها شيئاً أتعلق به، فقال: كان رسول اللّه ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع (بين القصر والطول)، وأقصر من المشذب (البائن الطول)، عظيم الهامة، رَجل الشعر (ليس بسبط ولا جَعد)، إن انفرقت عقيقته فرقها، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا وفّره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب(3) سوابغ من غير قَرَن، بينهما عرق يُدره الغضب، أقنى العرنين(4)، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، أدعج،

(1) الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم. اللؤلؤ والمرجان (3/ 107)، ومسلم (7/ 83)، والبخارى (4/ 228).
(2) مسلم (7/ 81). (3) الأزج: الحاجب المقوس الطويل الكثير الشعر.
(4) القنا: ارتفاع الأنف، واحديداب وسطه، ودقة أرنبته.

سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب[1]، مفلَّج الأسنان، دقيق المسربة[2]، كأن عنقه جيد دُمية فى صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادناً (ذو لحم) متماسكاً، سواء البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس (رؤوس العظام)، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط، عارى الثديين، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، عبل الذراعين[3]، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذ زال زال تقلعاً، ويخطو تكفؤاً، ويمشى هوْناً، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب (علو) ارتقاه، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوس أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام[4].

هذا الجانب الخَلقى الذاتى هو محض عطاء اللّه تعالى وهبته، ولا كسب فيه للإنسان، فإن النبى الأمى محمداً صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم قد أعطى منه ما لم يُعط غيره، حتى كان فى جماله الذاتى مثلاً عالياً لا يسامى فيه، ولا يُطاول أبداً. ولننظر إلى مثاليته ﷺ فى الجانب الخُلقى النفسانى، متتبعين عناصر الكمال فيه عنصراً بعد آخر فنقول ـ ولسنا بموفينه ﷺ كما له مهما حدثنا وكتبنا: ـ

رجاحة عقله:

نكتفى من عشرات الأمثلة الدالة على ما كان للنبى محمد ﷺ من كمال العقل ورجاحته بأربعة أمثلة، اثنين منها قبل نبوته واثنين بعدها، فأما اللذان قبل نبوته ﷺ فهما:

1 ـ حضوره حلف الفضول وقوله فيه: «**لقد حضرت حلف الفضول بدار عبد اللّه بن جدعان، وما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار عبد اللّه بن جدعان حمر النعم، ولو دعيت به لأجبت**»[5].

فهذا الحلف تم على أساس نصرة المظلوم، والوقوف إلى جنبه حتى يؤخذ له الحق ممن ظلمه، فحضور النبى ﷺ له تأييداً للحق، واغتباطه به حتى قال: «**ما أحب أن لى به حُمر النعم**» دالٌّ على كمال عقله ورجحانه بدون شك.

---

(1) الشنب: رقة الأسنان، ورونقها، وحسنها.
(2) المسربة: الشعر الذى بين الصدر والسرة.
(3) العبل: الغلظ.
(4) محمد المثل الكامل (10/ 11).
(5) سيرة ابن هشام (1/ 143)، بمعناه، وذكر الحلف أحمد رحمه الله فى مسنده (1/ 190، 193)، وابن سعد فى طبقاته الجزء (1)، القسم (1)، ص (82).

2 ـ حكمه بأن يوضع الحجر الأسود فى ثوب، ثم تأخذ بأطرافه القبائل القرشية، حتى إذا بلغ الحجر مكانه من جدار البيت تناوله هو ووضعه فى مكانه، فقضى بذلك على خصومه من أشد الخصومات، وحقَن دماء كانت قد تُراق لولا ذلك التصرف الحكيم، الذى إن دل على شىء فإنه يدل على كمال العقل المحمدى ورجاحته بما لا مجال للشك فيه.

وأما المثلان اللذان فى عهد نبوته فهما:

1 ـ تنازله لقريش على كتابة لفظة الرحمن الرحيم، وعلى لفظ رسول اللّه فى كتابة وثيقة المعاهدة التى أبرمها مع قريش عام صلح الحديبية، إذ أمر الكاتب وهو على بن أبى طالب أن يكتب بسم اللّه الرحمن الرحيم، فقال ممثل قريش وهو سُهيل بن عمرو: أمسك، لا أعرف الرحمن الرحيم، بل اكتب باسمك اللهم، فتنازل عن ذلك وكتب باسمك اللهم. ولما قال للكاتب اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول اللّه، قال ممثل قريش: أمسك لو شهدت أنك رسول اللّه لم أقاتلك، ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد اللّه، فتنازل عن ذلك وكتب[1]، فى حين أن أصحابه وعلى رأسهم عمر وعلى قد كرهوا ذلك وأبوا أن يفعلوه، ورأوه أنه إعطاء للدنية فى دينهم[2]، غير أن النتائج الطيبة التى أعقبت ذلك التنازل أدلت على قصر نظر القوم وبُعْد نظر الرسول محمد ﷺ، وكمال عقله ورجاحته، الأمر الذى كان به مضرب المثل فى كمال العقل، وحسن السياسة، والتدبير.

2 ـ لما دخل ﷺ مكة يوم الفتح منتصراً ووجد رجالات قريش قد تجمعوا حول الكعبة ينظرون حكم الفاتح المنتصر فيهم ناداهم ﷺ قائلاً: «**يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا: خيراً أخٌ كريمٌ وابن أخ كريمٍ. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[3].

إن هذا الموقف المثالى فى تاريخ العظماء ينمُّ قطعاً على ما أوتى رسول اللّه محمد ﷺ من رجحان العقل وكماله، وما أصبح به مثلاً عالياً فى هذا الشأن.

شجاعته:

إن شجاعة قلب النبى محمد ﷺ لم تكن أقل من رجاحة عقله، إنه قد بلغ فيها بحق المثالية

---

(1) متفق عليه بذكر (محمد رسول الله) دون بسم الله الرحمن الرحيم، اللؤلؤ والمرجان (2/ 224)، ورواه مسلم بقريب من هذا اللفظ المذكور فى الكتاب فى (6/ 175).

(2) جاء هذا فى حديث متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان (2/ 224)، والبخارى (3/ 228، 229)، ومسلم (5/ 173-175).

(3) سيرة ابن هشام (4/ 41).

التى لا توصف، وناهيك فى إثبات هذا الخلق العظيم أن يقول أفذاذ الأبطال كعلى بن أبى طالب، والزبير بن العوام، وخالد بن الوليد، وغيرهم ممن عُرفوا بالبطولات النادرة، والشجاعات الفذة أن يقولوا: «كنا إذا حمى الوطيس، واشتد البأس نلوذ برسول اللّه ﷺ نتقى به»[1]، لقد انهزم الجيش الإسلامى يوم حُنين شر هزيمَة، وثَبت رسول اللّه ﷺ فى الميدان وحده، حتى ثاب إليه أصحابَه، وقاتل بهم حتى انتصر نصراً ساحقاً على أعدائه، وأمسوا فى قبضته وتحت سلطانه، ولهذا الموقف نظيره فى أحد أيضاً، وهذا مصداق شهادة القرآن له بالشجاعة فى قوله تعالى: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ ﴾ (النساء: 84).

إن شخصاً يكلف بالقتال وحده، وقتال من ؟ إنه قتال كل أهل الكفر على الأرض، وما على الأرض يومها إلا كافر باستثناء تلك الحفنة من أصحابه المؤمنين ـ لَشخصٌ هو أشجع من طلعت عليه الشمس وغربت فى دنيا الناس، ذلك هو محمد رسول اللّه ﷺ.

سياسته:

إن سياسة النبى محمد ﷺ وفى كلا مجاليها المدنى والعسكرى، أو السلمى والحربى كانت وبدون شك ولا مبالغة مضرب المثل، وكانت على نحو لم يطمع فى الوصول إلى مثله أحد من الناس ومهما أوتى من الكمال فى هذا الخصوص. ولنكتف فى الاستشهاد على هذه المثالية فى السياسة المحمدية الرشيدة السديدة بذكر مسائل معينة منها:

1 - إذنه ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعد أن اشتد أذى المشركين لهم، حيث علم أنه لا يقدر على دفع الأذى عنهم، وأن بالحبشة ملكاً صالحاً كريماً، سيكرم وفادة أصحابه، ويحسن جوارهم وهو أصحمَة النجاشى، فكان هذا الإذن بالهجرة تدبيراً سياسياً جديراً بالتقدير والاحترام[2].

2 - اتخاذه دار الأرقم بن أبى الأرقم مركزاً للدعوة الإسلامية أيام اضطهاد المشركين لها، وتثقيف أصحابه فيها، وتربيتهم، وتعليمهم ـ كان تدبيراً حكيماً دل على رشد فى السياسة، وحسن فيها، مع حكمة التصرف، وكمال التدبير.

3 - عقده اتفاقيتى العقبة ـ وهما بيعتان بايع فيهما رجالاً من أهل المدينة لتأمين الهجرة إليها، وحماية المهاجرين فيها، ثم أَمْرُه أصحابه بالهجرة، وبالتالى هجرته هو ﷺ إليها، مما جعلها فى

(1) روى مسلم عن البراء قوله: «كنا والله إذا احمر البأس نتقى به» (5/ 168).

(2) ذكر البخارى رحمه الله الهجرة إلى الحبشة فى (5/ 62-64). وراجع البداية والنهاية (3/ 66)، وما بعدها، وسيرة ابن هشام (1/ 330)، وما بعدها.

بضعة أعوام دار إسلام، وعاصمة خلافة فى الأرض، ومنطلق فتح، وهداية لكافة البشر(1).

4- معاهداته لطوائف اليهود الثلاث بالمدينة، وما حققته تلك المعاهدات من فوائد للدعوة الإسلامية، وما وفرته من حماية لها أيام حاجتها الملحة إلى الحماية والتأمين، وذلك لضعفها، ومناوأة كل الناس لها.

5- مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، تلك المؤاخاة التى لحمت ما بين المهاجرين النازحين وأهل البلاد المواطنين فجعلتهم كجسم واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالحمى والسهر، تلك المؤاخاة التى لم يتم نظيرها على وجه الأرض قط، تحققت بفضل اللّه تعالى، ثم بتلك الحنكة السياسية والرشد المنقطع النظير فيها.

6- زواجه ﷺ من خديجة وهى بنت أربعين سنة، وهو شاب لم يتخط الخامسة والعشرين من عمره، ثم زواجه من عدة أرامل من النساء المسنات، وزواجه من أم المؤمنين عائشة بنت الصديق وسنها لم يتجاوز التاسعة من عمرها، كل ذلك دال على بُعْد نظر، وعمق سياسة، وحسن تصرف، وكمال تدبير ؛ حيث أعطى به لدعوة ربه الإسلامية دفعاً قوياً إلى النصر، والتقدم، والانتشار، ما لم تكن لتصل إليه وتحققه لولا تلك السياسة الحكيمة الرشيدة.

7- سراياه وغزواته العديدة، والتى تجلت فى جميعها الخبرة العسكرية، والقيادة المثالية الحكيمة، والأمر الذى اعترف به الصديق والعدو على حد سواء، ويكفى فى تقرير ذلك أنه فى خلال عشر سنوات من جهاده المقدَّس انتظم الإسلام أرض الجزيرة العربية كلها، واستنارت بنوره كل ديارها، وأن قتلى تلك الحروب والمعارك الهَائلة التى دارت رحاها مدة عشر سنوات تقريباً، ودانت نتيجة لها أرض شبه الجزيرة كلها بالإسلام ـ لم يتجاوزوا الألفين والخمسمائة ما بين شهيد وقتيل.

رحمته:

إن الرحمة التى كان يحملها قلب محمد النبى ﷺ لَرحمةٌ مثالية، لا تتأتى لغيره من بنى الناس، وإذا أردنا أن نذكر بعض مظاهرها ؛ تقريراً لها، فماذا عسانا أن نذكر منها بعد أن قال اللّه تعالى فيه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:128).

ومع هذا فلنشر إلى بعض المظاهر للرحمة المحمدية والتى منها:

1 ـ رُفع إليه ولده إبراهيم ابن مارية القبطية رضي الله عنها، وهو مريض يجود بنفسه، فوضعه بين يديه

(1) بيعتا العقبة مذكورتان فى البخارى (5/ 69،70)، وابن هشام (2/ 47-56)، والبداية والنهاية (3/ 147/ 158).

وبكى ﷺ، وقال: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون!**»(1).

2 ـ زار مرة قبر أمه بين مكة والمدينة، وقف عليه وبكى طويلاً، وانصرف وهو يقول: «**استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى، واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى ..**»(2).

3 ـ ولما فتح رسول اللّه ﷺ القموص حصن بنى أبى حُقيق (من خيبر) أتى رسول اللّه ﷺ بصفية بنت حيى بن أخطب وبأخرى، فمر بهما بلال على قتلى يهود، فلما رأتهم الجارية التى مع صفية صاحت، وصكت وجهها، وحَثَت التراب على رأسها، فلما رأى رسول اللّه ﷺ بتلك الجارية ما رأى قال: «**أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما؟**»(3). ولم تكن رحمته ﷺ قاصرة على بنى الناس فحسب بل تعدتهم إلى الحيوانات، فكان يقول ﷺ: «فى كل ذات كبد رطبة أجر»(4)، ويقول: «**عذبت امرأة فى هرة أوثقتها فلم تطعمها ولم تسقها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت**»(5). وأخبر مقرراً الرحمة وآثارها فى أهلها فقال: «**بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش ؛ إذ رأته بغى من بغايا بنى إسرائيل، فنزعت موقها فسقته، فغفر لها به**»(6).

كرمه:

إن الكرم النفسى الذى كان يتحلى به محمد رسول اللّه ﷺ لا يأتى عليه الوصف، وكيف يوصف كرم من لم يسأل شيئاً طول حياته وهو فى حوزته وقال: لا قط ؟ خرج يوماً وعليه حلة من أجمل الحلل، فرآه أحد أصحابه، فعزم أن يطلبها ليلبسها فتمس جلده بعد أن مست جلد الرسول ﷺ، فقال: يا رسول اللّه، أعطنيها. فدخل رسول اللّه ﷺ بيته، فخلع الحلة وأتاه بها .

جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: «يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء لا يخشى الفاقة»(7).

وبايع مرة جابر بن عبد اللّه فى جمل له كان قد كَلَّ فى السفر، فباعه إياه بكذا مائة درهم، ولما جاء يتقاضاه الثمن أعطاه الثمن والجمل(8).

(1) متفق عليه. اللؤلؤ والمرجان (3/ 103).
(2) أخرجه مسلم (3/ 65).
(3) ذكر هذا ابن كثير عن ابن إسحاق فى البداية والنهاية (4/ 197).
(4) متفق عليه. اللؤلؤ والمرجان (3/ 75).
(5) متفق عليه واللفظ لمسلم. اللؤلؤ والمرجان (3/ 73)، مسلم (8/ 35)، وقوله: «حتى ماتت» فى رواية أخرى لمسلم فى الصفحة المذكورة.
(6) متفق عليه. اللؤلؤ والمرجان (3/ 75).
(7) رواه مسلم (7/ 74).
(8) متفق عليه بمعناه. اللؤلؤ والمرجان (2/ 185).

اللّه أكبر ماذا يُذكر عن كرم محمد ﷺ؟ إنه فى هذا الباب كما فى غيره المثل الأعلى فى الكرم النفسى.

عدله:

إن المثالية فى عدل محمد ﷺ تتجلى فى مواقف عديدة، نقتصر منها على موقفين لم يقفهما غيره ﷺ قط، أولهما: حينما سَرقت المخزومية، وجاء أسامة بن زيد مدفوعاً برجالات قريش يشفع لها فى إسقاط الحد عنها، فقال له الرسول ﷺ وهو فى غضب شديد: «**أتشفع فى حدٍّ من حدود اللّه يا أسامة ؟ واللّه لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها**»(1)، وثانيهما: أن رسول اللّه ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفى يده قدح يعدل به القوم، فمر سواد بن غذية حليف بنى عدى بن النجار وهو مستنتل ـ أى متقدم ـ من الصف فطعن فى بطنه بالقدح وقال: «**استو يا سواد**» فقال: يا رسول اللّه أوجعتنى، وقد بعثك اللّه بالحق والعدل فأقدنى !! فكشف رسول اللّه ﷺ عن بطنه فقال: «**استقد..**»(2).

عفوه وحلمه:

إن الاستقصاء للشمائل المحمدية غير محتمل أبداً وأحسن من قال:

إنما مثَّلوا صفاتك للناس ... كما مثَّل النجوم الماءُ

ولذا فإننا نكتفى دائماً بنماذج لذلك الكمال المحمدى فى كل مظهر من مظاهره. ومن شمائل الحلم والعفو عنده ﷺ نذكر الأمثلة التالية.

1 ـ صح أنه كان ﷺ فى غزاة فأعطى رجاله فرصة للاستراحة فيها، فانتشروا فى واد يستريحون تحت ظلال أشجاره، وأتى هو شجرة فعلق سيفه فى أحد أغصانها ونام، فجاء أعرابى من المشركين فاخترط السيف وقال للرسول: من يمنعك اليوم منى يا محمد ؟ فرفع إليه رسول اللّه ﷺ رأسه وقال: «**اللّه**» فارتاعَ الرجلُ، وسقطَ السيفُ منْ يده، فتناولهُ الرسول ﷺ وقال: «**من يمنعك أنت الآن منى؟**» فقال الأعرابى: لا أحد، فعفا عنه الرَسول وانصرف(3).

إنه عفو بعد مقدرة، وهو من العفو الكريم الذى يستحق صاحبه كل إجلال وتقدير.

2 ـ قسم ﷺ مالاً بين الناس فجاءه أعرابى فجذبه من طرف ردائه وقال: هذه قسمة ما أريد بها وجه اللّه: فغضب رسول اللّه ﷺ وما زاد أن قال: «**فمن يعدل إذا لم يعدل اللّه ورسوله؟**

---

(1) متفق عليه بمعناه. اللؤلؤ والمرجان (2/ 185، 186).

(2) البداية والنهاية (3/ 271)، وسيرة ابن هشام (2/ 301).

(3) متفق عليه بمعناه. اللؤلؤ والمرجان (2/ 162)، واللفظ المذكور قريب من لفظ البخارى (5/ 146، 147).

رحم اللّه موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر»[1].

3 ـ دخل أعرابى مسجده ﷺ، واضطرته الحاجة إلى البول، فانتحى ناحية من المسجد وأخذ يبول، فانتهره أصحاب الرسول ﷺ وصاحوا فيه، فقال لهم رسول اللّه ﷺ: «**دعوه لا تزرموه**»[2]، فتركوه حتى قضى حاجته من بوله، ثم أمر رسول اللّه ﷺ بدلو من ماء فصُبَّ عليه، فحلْمُ الرسول ﷺ أنطق الأعرابى فقال: اللهم ارحمنى ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فقالَ الرسَول ﷺ: تحجرت واسعاً»[3].

كانت هذه نماذج من المثالية المحمدية، وهى أحد مؤهلات ثلاثة تقدم اثنان منها وبقى الثالث، وهو شرف النسب، وطيب الأصل. فلنلق نظرة على تلك الأرومة الطاهرة، وذلك المحتد الشريف، فنقول: إن من ينظر بإنصاف فى النسب النبوى الشريف يجده بحق أشرف نسب وأطيبه، وأطهره، وأزكاه على الإطلاق، إنه لم يعرف التاريخ البشرى نسباً كان أوضح وأنصع، ولا أطيب، ولا أطهر من نسب النبى محمد ﷺ ؛ إذ قريش كانت أشرف القبائل العربية بلا منازع ولا مدافع، وبنو هاشم كانوا أشرف قبائل قريش أيضاً بلا منازع، والأنبياء يبعثون دائماً فى أشرف أقوامهم هذه كلمة قالها هرقل ملك الروم وعظيمها[4].

ولنستمع إلى الرسول ﷺ نفسه وهو يقرر هذه الحقيقة فيقول: «**إن اللّه اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم**»[5]، فكان ﷺ خياراً من خيار من خيار.

وأخيراً فهذه مؤهلات النبوة كلها قد توفرت لمحمد رسول اللّه ﷺ وبصورة لا أكبر منها، ولا أوضح، فهل يصح فى العقول نفى نبوته، أو جحود رسالته ؟ اللهم، لا. إلا أن يكون ذلك من جاهل متعصب، أو من مُغرض ذى طمع فاسد، يجاحد ويعاند، و مع هذا فسنورد طرفاً من الأدلة العقلية والنقلية ما نؤكد به نبوته ﷺ، ونقرر به وجوب الإيمان به، وبكل ما جاء عن اللّه من الهدى والخير، وتحتم اتِّباعه، واتِّباع دينه، توخياً للحق، وطلباً للنجاة من العذاب، وفوزاً بالنعيم الأخروى فى الملكوت الأعلى مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

(1) متفق عليه بقريب من هذا اللفظ. اللؤلؤ والمرجان (1/ 229، 230).
(2) لا تزرموه: أى لا تقطعوا عليه بوله.
(3) متفق عليه بمعناه. اللؤلؤ والمرجان (1/ 64)، وزيادة «اللهم ارحمنى ومحمداً...» إلخ عند أبى داود فى أول الحديث مثل مسألة البول. متن (1/ 91).
(4) راجع حديث أبى سفيان فى البخارى (1/ 7).
(5) مسلم (7/ 58)، ورواه الترمذى أتم منه (2/ 281).

وجوب الإيمان بنبوة محمد ﷺ وأدلة ذلك

إن تلك المؤهلات العقلية والشرعية الدينية، وقد توفرت كاملة للنبى محمد ﷺ لكافيةٌ فى إيجاب الإيمان بنبوته ورسالته ﷺ، بيد أنه لا مانع من المزيد من ذكر الأدلة والبراهين ؛ تأكيداً لنبوته ﷺ، وتقريراً لها ؛ حتى تجعل الإيمان بها اضطرارياً لا يمكن دفعه إلا على ضرب من التمحل والمكابرة والعناد والمجاحدة.

ومن تلك الأدلة ما يلى:

(أ) **شهادة الكتب السابقة له على نبوته ، وتبشير الأنبياء السابقين بها**، فقد جاء فى إنجيل يوحنا:

1 ـ إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصايای، وأنا أطلب من (الأب) فيعطيكم معزياً (فارْقليط) آخر ليمكث معكم إلى الأبد[1].

فالفارقليط ترجمته: محمد أو أحمد. وبقاؤه معهم إلى الأبد هو بقاء دينه وكتابه وسنته ؛ إذ هذه محفوظة بحفظ اللّه، وباقية ببقاء هذه الحياة وهذا معنى إلى الأبد فى قوله: «يبقى معكم إلى الأبد».

2 ـ لكنى أقول لكم الحق، إنه خير لكم أن أنطلق، لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم المعزى (الفارقليط) ولكن إن ذهبت أرسلته إليكم[2]. فالفارقليط هو محمد ﷺ، ولو لم يذهب عيسى ﷺ برفع اللّه تعالى له لما بعث محمد ﷺ ؛ إذ بعثة النبى محمد ﷺ كانت على فترة من الرسل كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (المائدة: 19).

3 ـ «والفارقليط روح القدس الذى يرسله الأب، باسمى هو يعلمكم كل شىء، وهو يذكركم بكل ما قلته لكم»[3].

فالفارقليط روح القدس هو محمد ﷺ الذى يرسله اللّه إلى الناس كافة ومن بينهم اليهود والنصارى كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ (النساء: 170).

---

(1) الباب الرابع عشر الفقرتان (15-16).
(2) الباب السادس عشر الفقرة (7).
(3) الباب الرابع عشر الفقرة (26).

فجاء فى هذه الآية القرآنية لفظ الرسول معرفاً بالألف واللام، وهى وإن دلت على تفخيم الرسول ﷺ وتعظيمه فى كماله فإنها دالة على العهدية، فهى إشارة إلى ما فى الكتابين ـ التوراة والإنجيل ـ من البشارة بالرسول محمد ﷺ كما ذكرنا ونذكر، وكما اعترف به الصالحون والمنصفون من علماء الطائفتين ـ اليهود والنصارى ـ.

وجاء فى سفر التثنية من التوراة قوله: «جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران ومعه ألوف الأطهار»(1).

فهذه شهادة صريحة من التوراة واضحة لمحمد ﷺ بنبوته ورسالته؛ إذ معنى هذا اللفظ: أن اللّه تعالى ناجى موسى وأوحى إليه بسيناء، وأرسل عيسى وأوحى إليه بساعير وهى من أرض الجبل بالقدس، وبعث محمداً ﷺ رسولاً معلناً كلمة «لا إله إلا اللّه» مستعلنا بها من مكة الواقعة بين جبال فاران كجبل أبى قبيس وحراء وغيرهما من جبال مكة المحيطة بها.

ب ـ شهادة علماء أهل الكتابين:

جاء من سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ (الشعراء:197). فقد وبخ اللّه العرب الكافرين على عدم إيمانهم برسالة محمد ﷺ مع وجود آية عظيمة تدل على صدق نبوته، وثبوت رسالته، وهى معرفة علماء بنى إسرائيل وشهادتهم له بأنه نبى اللّه، وما جاء به هو من عند اللّه.

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ (البقرة: 146، 147).

فقد أخبر تعالى فى هذه الآية أن الذين أوتوا الكتاب ـ التوراة والإنجيل ـ يعرفون نبوة محمد ﷺ وصدقه فيها معرفة مثل معرفتهم لأولادهم، كما أخبر أن فريقاً كبيراً منهم يكتمون الحق بعد معرفتهم له، ولذا لم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ بعد معرفتهم لها تمام المعرفة.

ونكتفى بشهادة عبد اللّه بن سلام رضي الله عنه عن غيرها من شهادة كثير من علماء اليهود وأحبارهم، روى البخارى فى صحيحه من كتاب الأنبياء عن أنس بن مالك: «أن عبد اللّه بن سلام بلغه مَقدم رسول اللّه ﷺ المدينة فأتاه فقال: «إنى أسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى، قال:

ما أول أشراط الساعة ؟

(1) الباب الثالث والثلاثين، هذه النصوص الأربعة من التوراة والإنجيل نقلت عن العقيدة الإسلامية وأسسها ثم صححت على التوراة والإنجيل.

وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟

ومن أى شىء ينزع الولد إلى أبيه ؟

فقال رسول اللّه ﷺ: **أخبرنى بهنَّ آنفاً جبريل**، قالَ عبدُ اللّه بن سلام: ذاكَ عدوُ اليهود منْ الملائكة، فقال رسولُ اللّه ﷺ: «**أما أول أشراط الساعة: فنارَ تحشر الناس من المشرق إلى المغربَ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه فى الولد: فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها**. قال عبد اللّه بن سلام: أشهد أنك رسول اللّه، ثم قال: يا رسول اللّه إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامى قبل أن تسألهم بهتونى عندك. فجاءت اليهود، ودخل عبد اللّه البيت، فقال الرسول ﷺ: **أى رجل فيكم عبد اللّه بن سلام** ؟ قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا، فقال رسول اللّه ﷺ: **أفرأيتم إن أسلم عبد اللّه** ؟ قالوا: أعاذه اللّه من ذلك. فخرج عبد اللّه إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمداً رسول اللّه، فقالوا: أشرنا وابن أشرنا ووقعوا فيه !!»(1).

وبعد: فإن شهادة عبد اللّه بن سلام هذه تُعد من أكبر الشهادات بعد شهادة اللّه ورسوله ﷺ لمحمد بالنبوة والرسالة، ولذا لم نذكر بعدها من شهادات علماء اليهود شهادة غيرها.

أما علماء النصارى فإن لهم من الشهادات برسالة محمد ونبوته ما لا يسعه المقام، فلذا فإنا نكتفى من كل ذلك بشهادة عظيمة أقرها القرآن، وسجلها فى صفحاته، ألا وهى شهادة الملك الصالح أصحمة النجاشى ؛ إذ جاء قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (المائدة:82، 85).

فقد أجمع علماء التفسير والأخبار والسير على أن هذه الآيات نزلت فى النجاشى وأصحابه المؤمنين، فقولهم: ﴿**وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ**﴾. قولهم هذا يعد شهادة عظيمة بالإسلام، ونبيه، وكتابه، وأمته، ولنستمع إلى شهادة النجاشى رحمه اللّه تعالى من خلال رده علَى كتاب رسول اللّه ﷺ الذى ورده وهو فى دار ملكه، وحاضرة بلاده، إذ جاء فيه:

(1) البخارى (4/ 160).

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجـر

«سـلام عليك يا نبي الله من الله ورحمـة الله وبركـاته. لا إله إلا الله هو الذى هدانى إلى الإسلام، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقرّبنا ابن عمك (جعفر) وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين. وبعثت إليك يا نبى الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر، فإنى لا أملك إلا نفسى. وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله»(1).

جـ ـ شهادة بلايين من المسلمين:

إن إيمان بلايين البلايين من المسلمين الذين شهدوا لمحمد ﷺ بنبوته ورسالته وآمنوا به حق الإيمان، واتبعوا ما جاء به من الحق والهدى، وجاهدوا دونه، وبينهم العلماء والحكماء، والصلحاء الصادقون الذين يفوق عددهم الحصر، ويتعذر الإحاطة بهم علماً ـ لهو من أعظم الشهادات، وأقواها، وأكثرها إقناعاً للعقول، وجلباً للطمأنينة والسكون فى نفوس المؤمنين بنبوة محمد ورسالته ﷺ.

د ـ شهادة الحق عز وجل وملائكته:

إن شهادة الله عز و جل و شهادة ملائكته للنبى محمد ﷺ بالنبوة والرسالة لشهادة مغنية عن كل شهادة. قال تعالى: ﴿ **لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾ (النساء: 166).

ولولا كزازة النفوس، ورعوناتها(2)، وظلمات الجهل بالله تعالى التى تغشى كثيراً من قلوب الناس لما ذكرنا مع شهادة الله تعالى لمحمد ﷺ بالرسالة شاهداً أبداً، ولكن نظراً لما ذكرنا أوردنا تلك الشهادات السابقة وقفّينا عليها بشهادة الله تعالى التى لا يردها عاقل أبداً.

وشهادة الله تعالى تنقسم إلى قسمين: شهادة إخبار، وشهادة معجزات. فشهادة الإخبار هى: إخباره تعالى فى كتابه عن وحيه واصطفائه لرسوله وإرساله، ونصرته إياه، وشهادة المعجزات هى: ما أظهره الله تعالى على يد نبيه من خوارق العادات ؛ إذ كل خارقة تقول بلسان حالها عن

(1) البداية والنهاية (3/ 84)، وجاء فى أبى داود أن النجاشى قال: أشهد أنه رسول الله ﷺ، وأنه الذى بشر به عيسى ابن مريم (2/ 189).

(2) الكزازة: القبح والانقباض، والرعونة: الحمق.

obeikandl.com

اللّه تعالى: صدق محمد عبدى ورسولى فيما أخبر عنى من أنى أرسلته وهو رسولى.

ومن شهادة الإخبار ما يلى:

- قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ (الفتح: 29).
- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: 158).
- قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (البقرة: 119).
- قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ (النساء: 163).
- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب: 45، 46).
- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة: 67).
- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ (النساء: 170).

ومن شهادة المعجزات ما يلى:

1 ـ نزول القرآن الكريم عليه وحياً أوحاه اللّه تعالى إليه، فإنه أكبر معجزة عرفها الوجود البشرى ؛ إذ العادة قاضية بأن أمياً لم يقرأ ولم يكتب ولم يجلس بين يدى أستاذ أو مرب أو معلم قط، قاضية باستحالة تكلمه بالعلوم والمعارف ومعرفته لها وتفوقه فيها، فضلاً عن أن يأتى بما لم يأت به غيره من كل معاصريه وممن يأتى بعدهم إلى انقراض الحياة ونهاية الكون.

فالقرآن الكريم وقد حوى أعظم تشريع، واشتمل على قدر من العلوم الإلهية، وعلى أثبت الحقائق العلمية كنظام الزوجية[1] والقوانين الكونية[2]، كما تعرض لبدء الخليقة، وذكر من قصص الماضين وأخبار السابقين الشيء العجب، وأخبر بمغيبات عديدة فكانت كما أخبر حرفياً بلا زيادة أو نقصان[3] هذا الكتاب يأتى به أمى يتحدى كل الخلق على الإتيان بمثله، أو بعشر

---

(1) يشير إلى هذا القانون قوله تعالى من سورة يس: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾ (الآية: 36).

(2) كعملية إنزال المطر المشار إليها بقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ (الروم: 48).

(3) كالإخبار بنهاية حرب الروم مع فارس، وغلب الأولى للأخيرة بعد أن كانت قد غلبت وانهزمت، وذلك فى قوله تعالى من سورة الروم: ﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (الآيات: 1-3).

سور من مثل سوره، أو سورة واحدة[1]؛ فتعجز البشرية ومعها الجن كلهم، وتطأطئ رأسها وتسكت عن المعارضة لأكبر معجزة أوتيها محمد ﷺ لتدل على صدق نبوته، وثبوت رسالته، عرف هذا فداه أبي وأمي حين قال: «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»[2].

وهذه صورة التحدي قائمة إلى يوم القيامة تحويها آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: 23، 24).

فقوله تعالى: ﴿**وَلَن تَفْعَلُوا**﴾ أي الإتيان بسورة قرآنية من أمي مثل محمد ﷺ في أميته، هذا التحدي وهو نفي الإتيان بسورة من أمي مثل محمد في أميته ما زال قائماً، وقد مضى عليه الآن قرابة الألف والأربعمائة سنة، ولا يؤمل أبداً أن يأتي أحد فيبطله بأن يأتي بسورة قرآنية من رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب قط، هيهات هيهات أن يأتي أحد بمثل هذا القرآن والله يقول: ﴿**وَلَن تَفْعَلُوا**﴾.

2 ـ فيضان الماء من بين أصابعه بالحديبية حتى سقى وروى جيشاً كاملاً قوامه ألف وأربعمائة رجل وامرأة[3].

3 ـ تكثير الطعام يوم الخندق حتى أطعم بصاع من شعير وجدي صغير جيشاً كاملاً تعداده ألف رجل أو يزيدون[4].

4 ـ حنين الجذع إليه ﷺ ونطقه وسماع مئات الرجال الأخيار له، وعدم سكوته إلى أن أتاه الرسول وهدهده كما تهدهد الأم طفلها فسكت[5].

5 ـ رده ﷺ عين قتادة حيث خرجت حتى تدلت على وجنته بسبب ضربة أصابته يوم أحد فردها ﷺ، ومسح عليها فكانت أحسن منها قبل إصابتها[6].

---

(1) يقول الله تعالى: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ (الإسراء: 88)، ويقول: ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ**﴾ (هود: 13). ويقول عز وجل: ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ**﴾ (يونس: 38).

(2) متفق عليه واللفظ لمسلم. اللؤلؤ والمرجان (1/ 30)، ومسلم (1/ 92)، والبخاري (6/ 224).

(3) رواه البخاري (4/ 234، 5/ 156، 157).

(4) متفق عليه. اللؤلؤ والمرجان (3/ 20، 21). وكان هذا في غزوة الخندق.

(5) رواه البخاري بمعناه (2/ 11).

(6) سيرة ابن هشام (3/ 33).

6 ـ تسبيح الطعام بين يديه ﷺ وأصحابه يسمعون، وهم عدد كبير من خيار البشر[1].

7 ـ انشقاق القمر له ﷺ[2] حين طلبت قريش ذلك استدلالاً على نبوته ﷺ فانشق القمر فكان فلقتين على جبل أبى قبيس وأهل مكة كلهم يشاهدون، ويعجبون، أُثبتت هذه الحادثة فى القرآن بقول اللّه تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر: 1).

8 ـ تسليم الشجر والحجر عليه على مرأى من الناس ومسمع، عشرات المرات[3].

9 ـ الإسراء به ﷺ، والعروج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماء السابعة حيث سدرة المنتهى عند جنة المأوى، فبلغ مستوى سَمَعَ فيه صريف الأقلام، وناداه ربه، وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس[4]، كل هذه المعجزات وغيرها كثير قد ثبت بما هو أشبه بالمتواتر من الأخبار.

10 ـ إخباره بالمغيبات الكثيرة[5] فكانت كما أخبر. ونذكر منها على سبيل المثال خبراً واحداً من أعجب الأخبار، وهو قوله فى رواية أحمد بسند صحيح: «**سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال، ينزلون بها على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات**»[6].

---

(1) رواه البخارى (4/ 235).

(2) حديث الانشقاق ثابت فى الصحيحين. اللؤلؤ والمرجان (3/ 280).

(3) حديث تسليم الحجر عليه ﷺ بمكة وإخباره بهذا ثابت فى مسلم (7/ 58)، وتسليم الأحجار والأشجار عليه ﷺ وسماع على رضى الله عنه هذا فى الترمذى فى المناقب برقم (3630)، من كتاب المناقب، باب (3،6).

(4) راجع تعليقات الصفحات السابقة من الكتاب تجد آيات وأحاديث الإسراء والمعراج.

(5) من ذلك قوله فى الحسن بن على رضى الله عنه فيما أخرجه البخارى (5/ 32): «**إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين «عظيمتين» من المسلمين**» فكان كما أخبر، وقوله فى عمار بن ياسر وهو يحمل اللبن لبناء المسجد: «تقتلك الفئة الباغية» فكان كما أخبر كذلك، فقد قتل عمار فى حرب على ومعاوية قتله جيش الشام، والحديث ثابت فى مسلم (8/ 186).

(6) رواه أحمد، والطبرانى فى الثلاثة، ورجال أحمد رجال صحيح، هكذا قال الساعاتى فى شرحه على الفتح الربانى (17/ 301، 302).

فما هذه المركوبات يا ترى التى أخبر أنها سيركبها رجال من أمته ؟ إنها كسرج الفرس، وليست بفرس وإنها لتشبه رحل البعير ولكن ليست على البعير، إنها قَطْعاً السيارة بنت القرن التاسع عشر الميلادى، فهل كانت البشرية تحلم يومئذ بالسيارة التى تقطع مئات الأميال فى بضع ساعات حاملة الركاب وأمتعتهم ؟ والجواب: لا. ولكن الوحى المحمدى أخبر بقدر ما يمكن أن يفهمه السامعون يومئذ، وانتظر المؤمنون حتى يتم هذا الخبر، وتمضى الأجيال جيلاً بعد جيل إلى القرن الثالث عشر الهجرى حيث ظهر ما أخبر به ﷺ، وركب الناس على السروج كأشباه الرحال، ونزلوا بها على أبواب المساجد .. ثم هل عرفت الدنيا يوم أخبر الرسول ﷺ عن (المينى جيب) ؟ وهل يعقل أن امرأة مؤمنة تمشى فى الشوارع بين المسلمين وهى كاشفة عن فخذيها وكل جسمها ما عدا بطنها وظهرها إلى ركبتيها؟ وهل عرفت النساء وكل النساء كفكفة الشعر على الرأس حتى يكون كذروة البعير الهزيل فى غير القرن العشرين؟ وهل يعقل أن امرأة مسلمة تفعل بشعرها هكذا، وتخرج بارزة فى الشوارع والطرقات؟ والجواب: لا. ولكن ما أخبر به محمد الرسول ﷺ قد تحقق وهو من الغيب البعيد فى أعماق المجهول، فكان ذلك آية أن محمداً رسول الله ﷺ اللهم صلى على محمد وآله وصحبه والمؤمنين به، الناهجين نهجه، المستقيمين على صراطك المستقيم إلى يوم الدين.

* * *

ختم النبوات

والكلمة الأخيرة فى مبحث الإيمان بالرسل عليهم السلام نتناول فيها أمرين هامين:

أولهما: ختم سائر النبوات.

وثانيهما: النبى الخاتم.

أما عن الأمر الأول فنقول: إن الله تعالى قد ختم سائر النبوات بآخر نبوة، وهى نبوة محمد رسول الله ﷺ، فلم يبق من مطمع لأحد فى أن يدعى النبوة، أو يُؤتاها بعد نبوة محمد النبى الأمى أبداً، ومن جهل هذه الحقيقة، أو تجاهلها تضليلاً وخداعاً وادعى النبوة فقد كذب على الله، وأعظم الفرْية عليه، وكذبه فى قوله، وكذب على خلقه، ولم يلبث طويلاً حتى يفتضح شر فضيحة ويُلعنَ بين الناس كما حصل لعدد من الدجالين الكذابين مثل مسيلمة الكذاب فى الأولين، وأحمد مرزا غلام[1] فى الآخرين عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وذلك لأن الله تعالى قد أخبر بختم النبوات بنبوة محمد ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ (الأحزاب:40).

وبهذا كان الإيمان بمحمد ورسالته والعمل بها ضرورياً للنجاة من عذاب يوم القيامة، وللفوز بالنعيم المقيم فيه، وأيما عبد لا يؤمن بهذه الرسالة ولا يعمل بمحتواها فى حدود طاقته وما يستطيع إلا وهو من أهل الخسران يوم القيامة، ولا ينفعه إيمان بالله ولا بأنبيائه، وذلك لعدم عمله برسالة محمد الختامية، التى جعلها الله تعالى مزكية للنفوس، مطيبة للأرواح، فلا تزكو نفس امرئ إلا على الإيمان بها والعمل بما جاء فيها، وزكاة النفس هى المؤهل للفرد لأن ينجو من النار ويفوز بالجنة دار الأبرار، وذلك لقوله تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ (الشمس:9-10). وعن الأمر الثانى نقول: إن خاتم الأنبياء قطعاً هو النبى محمد ﷺ، لقول الله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ (الأحزاب: 40).

وإن الواجب على كل إنسان فى هذا الوجود البشرى أن يؤمن به ويتبع ما جاء به من الحق والهدى، وذلك لأمر الله تعالى بالإيمان به وباتباع ما جاء به فى مثل قوله: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا** ﴾ (التغابن: 8).

ولتخصيص الرب تبارك وتعالى رحمته وهى الفوز بالجنة بعد النجاة من النار بمن آمن به واتبعه فيما جاء به ﷺ قال تعالى: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ**

---

(1) غلام أحمد بن غلام مرتضى القادياني هو صاحب القاديانية الباطلة الكافرة.

الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف:156،157).

ولتعليق الله تعالى هداية الإنسان إلى الكمال البشرى، وحصوله على مؤهلات الفرد للسعادة فى الدنيا والآخرة على الإيمان به واتباعه إذ قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: 158).

وأخيراً فإن من الأدلة السمعية على ختم النبوة، وأن محمداً هو خاتم الأنبياء حديث الصحيحين الذى فيه يقول الرسول الخاتم ﷺ: «**إن مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة ! فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**». (1)

ومثل هذا الحديث فى الدلالة على ختم النبوة بنبوة محمد ﷺ وأنه الخاتم للأنبياء قبله ـ قوله فداه أبى وأمى فى رواية الصحيحين: «إنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبى، وأنا خاتم النبيين، لا نبى بعدى». (2)

وقوله: «**إن لى أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب الذى ليس بعده أحدٌ**». (3)

ومن أقوى الأدلة وأعظم البراهين على ختم نبوة محمد ﷺ سائر النبوات أن يمضى الآن ما يقرب من ألف وأربعمائة سنة على الإعلان بختم النبوات بنبوته ﷺ. ولم تأت نبوة حق، ولا نبى صدق، فى كل هذه الحقبة من الزمن الطويلة، فى حين أنه كان قبل نبوة محمد ﷺ تظهر النبوات فى كل عصر ومصر، وقد يوجد العدد من الأنبياء فى الأمة الواحدة، والبلد الواحد(4)، كما هو معلوم من التاريخ البشرى وفى جانبه الدينى بالخصوص.

---

(1) اللؤلؤ والمرجان (3/ 94).

(2) رواه أحمد والترمذى وأبو داود واللفظ له (2/ 414)، وهو متفق عليه. اللؤلؤ والمرجان (3/ 309)، ورواه البخارى بلفظ: «**ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله**» (4/ 243)، وكذا مسلم (8/ 189).

(3) متفق عليه واللفظ لمسلم، وفى رواية لمسلم: «**وأنا العاقب، والعاقب الذى ليس بعده نبى**» (7/ 89)، واللؤلؤ والمرجان (3/ 110)، والبخارى (4/ 225).

(4) كما وُجد داود وسليمان فى عصر واحد، وكما وجد زكريا ويحيى وعيسى فى بلد واحد وأمة واحدة. والأمثلة كثيرة وما هناك حاجة إليها.